أنوار الولاء الأكبر

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

يومُ الغـدِيرِ مِنْ أَعْظَمِ الأيـَّامِ وَأَكْبَرِ الأعيـَادِ عنـدَ اللهِ تعـالى، لأنَّ فيـه تَبلِيغَ الوَلايـةِ وَإِتْمـَامَ الرِّســـالـَةِ، فَقـَدْ ذُكِرَ أنـَّهُ في حجَّةِ الوداعِ نزلَ قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)، لأنَّ دِينَ اللهِ لا يَكْتَمِلُ إلاَّ بـِتَبْلِيغِ الوَلايةِ بعدَ الرِّسالَةِ، فالرِّسالةُ لا مَعْنَى لِوُجُودِها دُونَ جَوهَرِها، وَجَوهرُ الرِّســالَةِ هُوَ الوَلايةُ لأنَّها آخِرُ الفَرَائِضِ وَكَمَالُ الدِّينِ، لذلكَ كانَ إكمالُ الدِّينِ بـِتَبْلِيغِ الوَلايَةِ، وَبـِها تَمَّتِ النِّعْمَةُ الإلَهيَّةُ، وَهِي نِعْمَةُ مَعْرِفَةِ إثْبَاتِ وُجُودِ الحَقِّ الْمَشْـهُودِ، وَمَنْ أَنْعَمَ اللهُ عليهِ بالدِّينِ الْمُكتَمِلِ والشَّـهادةِ التَّامَّةِ رَضِيَ اللهُ أن يَكُونَ من أهلِ الإسلامِ، وَكُلُّ هذا كَانَ في يَومٍ لا في لَيلَةٍ، لأنَّ اليَومَ يَرْمُزُ إلى الشَّهَادَةِ الْمُعْلَنَةِ الصَّريحَةِ على الْمَلأ.

وَقَدَ خَطَبَ سـيِّدنا رسـولُ اللهِ محمَّد (ص) في أكثرِ من مِئَةِ ألفٍ من الْمُسـلمينَ وَهُوَ رَاجِعٌ مِن حجَّةِ الوَدَاعِ في مَكَانٍ يُدْعَى (غَدِيرَ خُمٍّ) بَعْدَ أنْ أَنْزَلَ اللهُ تعالى قولَهُ: (يَا أَيُّهَا الرَّســـُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْـكَ مِن رَّبِّـكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ فَمَـا بَلَّغْتَ رِســـَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصـــِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، وكانَ الصَّحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بن مسـعود (ع) يَقْرَؤها: (يَا أَيُّهَا الرَّسـُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ في عليٍّ)، وَجَاءَ الوَعْدُ بالعِصْمَةِ لأنَّ تَبْلِيغَ الوَلايَةِ أَصْعَبُ مِن تَبْلِيغِ الرِّسالَةِ، فالرِّسَالَةُ يَتَقَبَّلُها الْمُسْلِمُونَ، لَكِنَّ الوَلايةَ لا يَتَقَبَّلُها إلاَّ الْمُؤمنونَ، لذلكَ نَجِدُ مَنْ يَتحَدَّثُ عن الإسلامِ كُثـــُرًا، لَكِنَّ مَن يُدَافِعُ عن الوَلايَةِ والنَّهْجِ الحَقِّ قِلَّةٌ مُحَارَبَةٌ لَكِنَّها مَعْصُومَةٌ مِنَ النَّاسِ.

وَفِي تَبْلِيغِهِ قالَ سـيِّدنا رسولُ الله محمَّد (ص) لِلْمَلأ: (أَلَسْتُ أَوْلَى بكُمْ مِن أَنْفُسِكُم)، قالوا: بَلَى يا رسولَ اللهِ. فَوَضَعَ يَدَهُ بـِيَدِ أميرِ المؤمنين الإمامِ علي (م) وَرَفَعَها إلى السَّماءِ وقال: (اللهمَّ وَالِ مَن وَالاهُ، وَعَادِ مَن عَاداهُ، وأَحِبَّ مَن أحبَّهُ، وأبغِضْ مَن أبْغَضَـهُ، وانصـُرْ مَن نَصـَرَهُ، واخْذُلْ مَن خَذَلَهُ، وأدِرِ الحقَّ معَهُ حيثُ دارَ)، فَلَقِيَهُ عمرُ بن الخَطَّاب وقالَ: (هَنِيْئـًـــا لَكَ يَا ابْنَ أبي طَالِبَ، أَصْبَحْتَ مَولايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَةٍ).

وجاءَ على لِسَانِ عُمَرَ أنَّهُ قالَ لسيِّدنا النَّبيِّ محمَّد (ص): يا رَسُولَ اللهِ، كانَ في جَنْبي شَابٌّ حَسَـنُ الوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيْحِ قالَ لي: (يا عُمَرُ، لقد عَقَدَ رَسُـولُ اللهِ عَقْدًا لا يَحُلُّهُ إلاَّ منافقٌ)، فقالَ رسولُ اللهُ (ص): (يا عُمَرُ، إنَّه لَيْسَ مِن وِلْدِ آدمَ، لَكِنَّهُ جِبرِيْلُ أَرَادَ أنْ يُؤَكِّدَ عَلَيكُمْ مَا قُلْتُهُ في عَلِيٍّ).

وَمِنَ الجَديرِ بالذِّكْرِ أنَّ أمير المؤمنين الإمام علي (م) تَوَلَّى الخِلافَةَ في الثَّامنِ عَشَـرَ من شَـهْرِ ذي الحجَّةِ، فكانَتِ الذِّكرى السَّادسةَ والعشرينَ لواقعةِ يومِ الغديرِ الذي كانَ الحَدَّ الفَاصِلَ بينَ بَقَاءِ الإسلامِ وَفَنَاءِ الإسلامِ.

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد